

الباب الرابع

مفهوم نور محمد ﷺ عند الالوسي

في هذا الباب قد حان الوقت لتحليل وبيان مفهوم نور محمد ﷺ عند الألوسي في تفسيره روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. وما استنتج مما سبق، علم أن البحث عن نور محمد ﷺ لا يخلو عن ثلاثة مباحث، الأولى: نورانية محمد ﷺ، الثاني: نور محمد ﷺ كأول الخلائق الذي خلق من نور الله تعالى ومنه خلقت العوالم كلها جميعها، الثالث: نور محمد ﷺ كمستمد الأنبياء والأولياء وكمستمد كل علم وعرفان. ولذا، يُنظم البحث ويسوق على حسب تلك المباحث الثلاثة.

الفصل الأول: مفهوم نور محمد ﷺ عند الالوسي

المبحث الأول: نورانية محمد

أقر الأولياء المقربين وجمع كثير جداً من العلماء الصالحين والمفسرين والمحاذين الفضلاء والكرماء أن محمد ﷺ حقيقة نورانية. وهذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية أو نور محمد ﷺ، وهو أي نور محمد ﷺ بالنسبة إلى أنه الذات مع التعيين الأول وأنه الإسم الأعظم^{١٩٩} نور أزلي قدس، وبالنسبة إلى أنه أول المخلوقات كما ورد في الحديث النبوى (أول ما خلق الله نور نبيك، يا جابر^{٢٠٠}) فهي حادث مخلوق. فالصلة بين الحق تعالى ونور محمد ﷺ – كما قال محمد نفيس البنجاري – كمثل الشمس ونورها، نور الشمس يدل على وجود الشمس (لأن وجود نورها يستلزم وجود الشمس / زيادة الباحث)، لكن في الحقيقة، نورها ليس شمساً

^{١٩} على، الجرجاني، التعريفات (بيروت: مكتبة لبنان، طبعة جديدة ١٩٨٥م)، ص: ٢٠

٤٠٠ احمد بن محمد القسطلاني، الواهب اللذني بالفتح الحمدية، تعليق: مأمون بن عبي الدين الجنان (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٦م/٤١٧هـ)، ج: ١ ص: ٣٦ عبد الرزاق الصناعي، الجزء المقدور من الجزء الأول من المصنف، تحقيق الدكتور عيسى الحميري (مجهول المكان، مجهول المطبع، الطبعة الأولى ٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)، ص: ٦٣

على صورته أي كنه الشمس، ولكن يجوز أن يقال: أن نور الشمس هو الشمس إذا اعتبر من حيث المعنى، لأنه إذا كان نور الشمس معدوما، نقول: أن الشمس معدوم مع أن الحقيقة أن الشمس ليست نورها.^{٢٠١}

كذلك، يجد الباحث أن الألوسي يقر بنورانية محمد ﷺ أيضاً، وهو أثبت

نور نة محمد ﷺ بالأيات القرآنية، منها:

١٥-١٦ . سورة المائدة الآية

(قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ** يهدي به الله من اتبع رضوانه) سهل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ياذنهم ويهديهم إلى صراط مستقيم) قال الآلوسي في تفسير قوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور): عظيم وهو نور الأنوار والنبي المختار عليه السلام، وإلى هذا ذهب قتادة واحتراره الزجاج^{٢٠٢}. وقال - بعد نقل الآراء المختلفة في تفسير هذه الآية - : ولا يبعد عندي أن يراد بالنور والكتاب المبين النبي عليه السلام، والعطف عليه كالعطف على ما قاله الجبائي، ولا شك في صحة إطلاق كل عليه السلام، ولعلك تتوقف في قبوله من باب العبارة فليكن ذلك من باب الإشارة^{٢٠٣}.

وقال الألوسي في باب الإشارة لهذه الآية: (قد جاءكم من الله نور):
أبرزته - ذلك النور - العناية الإلهية من مكامن العماء (وكتاب) خطه قلم الباري
في صحائف الإمكان جامعاً لكل كمال، وهما - نور وكتاب - إشارة إلى النبي
ﷺ، ولذلك **وحْدَة الصميم** في قوله سبحانه: (يهدى به الله) أي بواسطته (من اتبع

DR. KH. Haderanie H.N, Permata Yang Indah (terjemah dari al-Dur al-Nafis, M. Nafis al-Banjari), Surabaya: Nur Ilmu, hal. 184

^{٢٠٢} شهاب الدين محمود الالوسي، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، تحقيق: أبو عبد الرحمن فراز بن سراج

^٤ عبد الغفار (القاهرة: المكتبة التوفيقية، مجهول سنةطبع)، ج: ٤ ص: ١٣١

^{٢٠٣} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ٤ ص: ١٣١

رضاوه) أي من أراد ذلك (سبيل السلام) وهي الطرق الموصلة إليه عز وجل. وقد قال بعض العارفين: الطرق إلى الله تعالى مسدودة إلا على من اتبع النبي ﷺ .^{٢٠٤} قال أيضاً ناقلاً عن قول بعض الناس: إنه تعالى ذكر عشرة أشياء ووصفها بالنور. الأول ذاته حل شأنه (الله نور السموات والارض^{٢٠٥})، الثاني الرسول ﷺ: (قد جاءكم من الله نور وكتاب)^{٢٠٦}.

ب. سورة النور الآية ٣٥

(اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاءٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمُصْبَاحُ
فِي زُجَاجَةِ الرُّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَمَكَبُّ دُرْرِيٍّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ زَيْوَنَةٍ لَا شَرْقَيَّةٍ
وَلَا غَرْبَيَّةٍ يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ
يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)

قال الآلوسي في بعض تفسيره لهذه الآية: وقيل المراد بنوره (في قوله تعالى: مثل نوره) رسوله محمد ﷺ، وقد جاء إطلاق النور عليه ﷺ في قوله تعالى: (قدْ جاءَكُمْ مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ^{٢٠٧}) على قول^{٢٠٨}. هذا القيل قد ذكره ابن جرير الطبرى في تفسيره، ونصه: وقال الآخرون: بل عَنِي بالنور محمد ﷺ. وقالوا: الهماء التي في قوله تعالى: (مثل نوره) عائدة على اسم الله. ثم ذكر روایتين تدلان على ذلك احدهما: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القميُّ، عن حفص، عن شمر، قال: جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار، فقال له: حدثني عن قول الله عز وجل (الله نور السماوات والأرض) الآية؟ فقال كعب: (الله نور السماوات والأرض) مثل نوره): مثل محمد ﷺ كمشكاة. والثانية: حدثني علي بن الحسن الأزدي،

^{٢٠٤} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٤ ص: ١٦٤

٢٠٥ النور:

^{٢٩٦} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٩ ص: ٢٩٠

٢٠٧ المائدة: ١٥

٢٢٦ ص: ١٠ ج: المراجع السابق، محمود الألوسي، شهاب الدين

قال: ثنا يحيى بن اليمان، عن أشعث، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن حبْرٍ في قوله تعالى (مَتَّلُ نُورِهِ) قال: محمد ﷺ . ٢٠٩

نقل الآلوسي في تفسير التور في (مثل نوره) ثمانية أقوال، (١) أدلته سبحانه
العقلية والسمعية في السموات والأرض التي هدى بها من شاء إلى ما فيه صلاحه،
(٢) القرآن الكريم، (٣) الحق، (٤) الهدى، (٥) المعرفة والعلوم (٦) الإيمان،
(٧) الطاعة، (٨) محمد ﷺ. ولكن في الحقيقة – حسب فهم الباحث –، إذا
أمعن النظر، كانت الأقوال كلها سوى الثامن منها (محمد ﷺ) في الحقيقة تشير
إلى محمد ﷺ، وبيانه كما بلي:

القول الأول: إذا كان المقصود من (نوره) هو أدله سبحانه العقلية والسمعية في السموات والأرض التي هدى بها من شاء إلى ما فيه صلاحه، هذا القول في الحقيقة ^{٢١} يشير إلى محمد ﷺ لأن النبي ﷺ أكمل محلى لجمع所有 أسماء الله تعالى وأكمل من يتحلى بأحلاق الله تعالى، ولذا قال الله تعالى: (وإنك لعلى خلق عظيم ^{٢٢})، وقال عائشة رضي الله عنها في وصف حلق النبي ﷺ: (كان خلقه القرآن ^{٢٣}). وهو آية الله العظمى (دليل الله تعالى العظيم) التي هدى الله بها من شاء إلى ما فيه صلاحه، ولذا قال تعالى: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لم يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً ^{٢٤}). هل هناك صلاح العباد أعظم

^{٢٠٩} محمد بن حمرين أبو جعفر الطبرى، جامع البيان فى تأویل القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد الحسين التركى (القاهرة: دار هجر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م)، ٢٩٨-٢٩٩.

^{١٠} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١٠ ص: ٢٢٥-٢٢٦.

١١ اللقطة "الحقيقة" فيه وبعده قول إعتبري ليس بمعنى حقيقة الأمر لأنه لا يعلم تأويلاً إلا الله والراسخون في العلم؛ الذين علمهم الله تعالى، والباحث ليس من الراسخين في العلم. ولكن يرجو أن يجعله الله تعالى مناهم، أمين...

٤١٢ القلم:

^{١٣} الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعب الأنبوط و عادل مرشد (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج: ٤٢ ص: ١٨٣ و ج: ٤٣ ص: ١٥

الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، ج: ٤٢ ص: ١٨٣ و ج: ٤٣ ص: ١٥

٢١٤ الأحزاب:

أعظم من الوصول إلى الله تعالى والسلامة في اليوم الآخر وأكير من نعمة ذكر الله تعالى؟.

والقول الثاني (القرآن الكريم) يشير أيضاً إلى محمد ﷺ لأن القرآن هو محمد ﷺ كما في قوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدي به من اتبع رضوانه) وحد الضمير في (به) لأن الله تعالى لا يغایر بينه ﷺ والقرآن، ولذا قالت عائشة رضي الله عنها فيه ﷺ: (كان خلقه القرآن).

والقول الثالث (الحق) يشير أيضاً إلى محمد ﷺ، لأن محمد ﷺ هو الحق، كما قال تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ^{٢١٠}) قال الألوسي في تفسير (الحق) في هذه الآية: وقيل: المراد من الحق النبي ﷺ.^{٢١١} وقال تعالى: (فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ^{٢١٢}) قال عبد الكريم الجيلي في تفسير هذه الآية: يعني حمدًا.^{٢١٣} وهذا لا يبعد لأن الحق من أسماء النبي ﷺ، قد ورد في الحديث النبوى: (ولك الحمد أنت الحق ووعدك حق وقولك حق ولقاوتك حق والجنة حق والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق).^{٢١٤} ولذا، قال النبي ﷺ: (من رأى فقد رأى الحق).^{٢١٥}

٢١٥

^{٤٩٤} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٦ ص:

٢١٧ الأنعام: ٥

^{٢١٨} عبد الكريم الجيلي، الكمالات الإلهية في الصفات الحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)، ص:

ص:

1.0

^{١١٩} الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م)، ص: ٢٧٢ و النسائي، سنن النسائي بشرح السيرطي و حاشية السندي (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، مجهول سنة الطبع)، ج: ٣ ص: ٢١٠ و ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد ناصر الدين البانى (الرياض: مكتبة المعارف، الطبعة الأولى بدون السنة)،

^{٤٥} **الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري** (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص: ١٧٣٣ و **الإمام مسلم النيسابوري، صحيح مسلم** (الرياض: دار المغنى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص: ١٢٤٥ و أبو يكر أ Ahmad البهجهي، **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلتعي (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ج: ٧، ص: ٤٥

والقول الرابع (المُهْدَى) من الممكن هو إشارة إلى محمدٌ ﷺ لأن الله تعالى يهدي به من يشاء إلى الصراط المستقيم كما قال تعالى: (فَذَهَبَ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُّلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ يَأْذِنُهُ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ).

والقول الخامس (المعارف والعلوم)، هي في الحقيقة محمدٌ ﷺ. لأنه إذا نظر من نظرية العلم الحضوري أي إذا نظر من فكرة اتحاد العاقل والمعقول أو اتحاد العلم والعلم ^{٢٢١}، فالمعارف والعلوم هي عين محمدٌ ﷺ. قال النبي ﷺ: (أُوتيتْ جوامع الكلم) ^{٢٢٢}، وقال: (فلم تعلم علم الأولين والآخرين) ^{٢٢٣}، وقال: (أنا مدينة العلم وعلى باهها، فمن أراد المدينة فليأت الباب) ^{٢٢٤}.

والقول السادس (الإيمان) كذلك يشير إلى النبي ﷺ، لأن الله تعالى جعل للمؤمنين نوراً بسبب تقواهم الله تعالى وإيمانهم برسوله الأعظم ﷺ. كما قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتُكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ^{٢٢٠})، ولأن النبي ﷺ كان أكمل وأتم الأولين والآخرين إيماناً.

والقول السابع (الطاعة) وهي أيضاً تشير إلى محمد ﷺ، لأن الله تعالى لا يغایر بين طاعته تعالى وطاعة رسوله ﷺ، كما قال تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

<http://www.balagh.com/mosoa/falsafah/rj.rwrsq.htm>

^{٢٢٢} الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد (بيروت: موسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م)، ج: ١٢ ص: ٣٦٦ و ج: ١٣ ص: ٤٩٢ . والإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص: ١٧٣٧ . والإمام مسلم التسّابوري، صحيح مسلم (الرياض: دار المُتفق، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص: ٢٦٦

^{٢٢٣} وجد في الفتوحات المكية بالمعظ (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله ضرب بيده بين كففي فوجدت برد أنامله بين ثديي فلعلم علم الأربعين والآخرين). عزي الدين ابن حزمي، الفتوحات المكية (مصر، دار الكتب العربية الكبرى)، ج: ١ ص: ٢١٤ (هـ)، ٢١٣٢٩.

^{٣٤} المحافظ الحاكم اليسابوري، المستدرک على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي (القاهرة، دار الحرمين، الطبعة الأولى)

أطاعَ اللَّهَ^{٢٦}، وَلَا يُنْهَا طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ أَكْمَلَ وَأَتَمَّ مِنْ طَاعَةِ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَرْسُلِينَ بِلِّمَنْ طَاعَتِ الْخَلَقُ أَجْمَعِينَ. انتهى

ثم قال الآلوسي في تفسير ضمير الماء في (مثل نوره): وقيل الضمير راجع إلى محمد ﷺ وروى ذلك جماعة عن ابن عباس عن كعب الاخبار، وحكاه أبو حيان عن ابن جبير أيضا^{٢٢٧}. وينقل الآلوسي أيضاً أربعة أقوال سوى هذا القيل في تفسير رجوع الضمير: الأول: راجع إلى الله تعالى فيكون التقدير "مثل نور الله تعالى"، الثاني: راجع إلى المؤمن فيكون التقدير "مثل نور من أمن"، والثالث: راجع إلى القرآن فيكون التقدير على هذا القول "مثل نور القرآن"، والرابع: راجع إلى الإيمان فيكون "مثل نور الإيمان في قلوب المؤمنين". وقال هو: ولا يخفى أن رجوع الضمير إلى غير مذكور في الكلام إذا لم يكن في الكلام ما يدل عليه أو كان لكن كانت دلاته عليه خفية خلاف الظاهر جداً لا سيما إذا فات المقصود من الكلام على ذلك^{٢٢٨}.

فعلى الجملة - حسب استنتاج الباحث -، هذه الأقوال كلها في الحقيقة ترجع وتشير إلى نور محمد ﷺ، لأنه إذا قيل: الضمير راجع إلى الله تعالى أي نور الله تعالى، فالمقصود به هو نور محمد ﷺ لأنه بأي قولٍ مَّا من الأقوال التي ذكرها الآلوسي في تفسير "النور" في قوله تعالى: (مثل نوره) - كما سبق - فهو في الحقيقة يشير إلى نور محمد ﷺ. وكذلك إذا قيل: الضمير راجع إلى المؤمن أي نور المؤمنين، فهو يشير إلى محمد ﷺ، لأن أكمل وأتمُ المؤمنين إيماناً محمد ﷺ فكان هو أحقَّ أن يضاف "النور" إليه ﷺ. وكذلك إذا قيل: الضمير راجع إلى القرآن فهو يشير إلى محمد ﷺ - على قول من يقول بـ"إتحاد العاقل والمعقول" أو "إتحاد العلم والعلم والمعلوم" -، ولذا لم يغاير الله تعالى بين محمد ﷺ والكتاب في قوله

٢٢٦ النساء: ٨٠

^{٤٤٢} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١٠ ص: ٢٢٦

^{٢٢٨} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١٠ ص: ٢٢٦

تعالى: (قَدْ حَاءَ كُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ) كما سبق بيانه، وقيل في الحديث النبوى: (كان خلقه القرآن). والأخير، إذا قيل: الصمير راجع إلى الإيمان أي نور الإيمان في قلوب المؤمنين، فهو أيضاً يشير إلى محمد ﷺ، لأن إيمان محمد ﷺ أكمل وأتم من إيمان سائر المؤمنين، فكان أحق أن يقال: "مثل نور إيمان محمد ﷺ". وهذا أجدر - عند الباحث - لأن استمرار الآية (كمِشْكَأَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاحَةِ الرُّجَاحَةِ كَائِنًا كَوْكَبٌ دُرُّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةِ مُبَارَكَةٍ زَيْتوَنَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتَهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) يليق لوصف إيمان النبي ﷺ، لا غيره.

ت. سورة الأحزاب الآية ٤٥-٤٦

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا # وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ يَأْذِنُهُ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)

قال الآلوسي في تفسير (وسِرَاجاً مُنِيراً): يستضيء به الضالون في كلمات الجهل والغواية ويقتبس من نوره (نور محمد ﷺ / الباحث) أنوار المهدىين إلى مناهج الرشد والمداية، وهو تشبيه إما مركب عقلي أو تمثيلي متزوج من عدة أمور أو مفرق، وبولع في الوصف بالإلارة لأن من السرج ما لا يضيء إذا قل سليطه ودقت فتيلته^{٢٩}. وصف النبي ﷺ في هذه الآية بـ"سراجاً" وـ"منيراً"، وفي آية أخرى وصفت الشمس بالسراج والقمر بالمنير، كما قال تعالى: (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيراً^{٣٠}). قال الآلوسي في تفسير هذه الآية: (وَجَعَلَ فِيهَا) أي في السماء، وقيل: في البروج (سِرَاجاً) هي الشمس كقوله

^{٥٤٨} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ١١ ص: ٥٤٨

٢٣٠ الفرقان: ٦١

تعالى: (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا) ^(٢٣). هذا - عند الباحث - أي وصف النبي ﷺ بالسراج الذي في آية آخر كان صفة للشمس ووصفه ﷺ بالمنير الذي في آية آخر كان صفة للقمر، إشارة إلى أن نور محمد ﷺ أصل جميع الأنوار كما أن الشمس أصل جميع أنوار النجوم والأقمار، وإشارة إلى أن نور محمد ﷺ مقتبس من نور الله تعالى كما أن نور القمر مقتبس من نور الشمس.

وخلاصة الكلام: في تفسير هذه الآيات الثلاثة تبين أن الألوسي يقر ويثبت نورانية محمد ﷺ. ولو كان في تفسير "النور" و"هاء الضمير" في قوله تعالى: (مثلك نوره) مجرد نقل القيل والأقوال، ولكن لا يوجد في نصوص تفسيره لهذه الآية كلام يرد أن المقصود من "نور" في (مثل نوره) هو نور محمد ﷺ كما لا يوجد كلامه الذي يرد أن المرجع من "هاء الضمير في (نوره) هو محمد ﷺ، بل لا يوجد ترجيح الألوسي لتلك الأقاول. لذا، أيقن الباحث أن الألوسي يوافق نظرية نور محمد ﷺ مستدلاً بهذه الآيات الثلاثة.

لا يستدل الآلوسي في إثبات نورانية محمد ﷺ بهذه الآيات فقط، بل وُجِدَ
هو في مواضع أخرى يثبت نور محمد ﷺ مستدلاً بآية أخرى. قال في باب
الإشارة في قوله تعالى: (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ درجاتٍ^{٢٣٣}) بفتنه عن ظلمة الوجود
بالكلية وبقائه في حضرة الأنوار الإلهية وبلغه مقام قاب قوسين وظفره بكتر
(فأوحى إلى عبده ما أوحى^{٢٣٤}) من أسرارهم الشائين حتى عاد وهو نور الأنوار

٤٣١

^{٤٣٣} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ١١ ص: ٤٠٢

٢٣٣ البقرة: ٢٥٣

٢٣٤ النجم:

والظاهر الأعظم عند ذوي الأبصار^{٢٣٥}. وقال في باب الإشارة في قوله تعالى: (رَبُّنَا
وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ^{٢٣٦}) وهو (الرسول) الحقيقة المحمدية^{٢٣٧}.
المبحث الثاني: نور محمد ﷺ كأول الخلائق الذي خُلِقَ من نور الله تعالى ومنه
خُلِقَت العوالم

كأول الخلائق: أما نور محمد ﷺ كأول الخلائق (أولية النور الحمدي) فقد قاله الآلوسي مبكرًا في تفسير البسمة (بسم الله الرحمن الرحيم). قال هو في باب الإشارة لتأويلي باء البسمة ما نصه: وعندى في سر ذلك أن الباء هي المرتبة الثانية بالنسبة إلى الألف البسيطة المجردة المتقدمة علىسائر المراتب فهي إشارة إلى الوجود الحق، والباء إما إشارة إلى صفاته التي أظهرتها نقطة الكون والصفات إما جمالية أو جلالية، وللأولى السبق كما يشير إليه حديث (سبقت رحمتي غضبي ^{٢٣٨}) وباء الجر إشارة إليها لأنها الواسطة في الإضافة والإفاضة فناسبها الكسر وخفض الجناح ليتم الأمر ويظهر السر، وفي الابتداء بها هنا تعجيل للبشارة ورمز إلى أن المدار هو الرحمة كما قال ﷺ: (لن يدخل أحدكم الجنة عمله قيل حتى أنت يا رسول الله قال حتى أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ^{٢٣٩}). وقد تدرج سبحانه وتعالى بإظهارها فرمز بالباء وأشار بالله وصرح ألم تصريح بالرحمن الرحيم،

^{٤٣} شهاب الدين محمود الألوسي، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٢٣ھـ / ٢٠٠٣م)، المجلد: ٢ ج: ٣ ص: ١٥

^{٤٣٧} شهاب الدين محمود الآلوسي، روح المعلاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثلث (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ٤٨٢ ج ١ ص ٤٦١-٤٥١ / ٢٠٠٣)، المجلد: ١ ج: ١ ص: ٤٨٢

^{٢٤٧} ص: ١٢، ج: ١٢، م: ١٩٩٥، هـ: ١٤٦١، ح: حنبيل، الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد (بيروت: موسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص: ١٤٧١، والإمام مسلم مسلم (الرياض: دار المنهى، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص: ١٤٧١، والإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص:

^{٣٣} الإمام أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط و عادل مرشد (بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/١٩٩٥م)، ج: ١٣ ص: ٣١ و ج: ٤١ ص: ٤١٧

وإما^{٤٤} إشارة إلى الحقيقة المحمدية والتعيين الأول المشار إليه بقوله ﷺ: (أول ما خلق الله نور نبيك، يا حابر^{٤٤١}) وب بواسطته حصلت الإفاضة كما يشير إليه (لولاك ما خلقت الأفلاك^{٤٤٢}) ولكون الغالب عليه ﷺ صفة الرحمة لا سيما على مؤمني الأمة كما يشير إليه قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ^{٤٤٣}) وقوله تعالى: (بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّجِيمٌ^{٤٤٤}) ناسب ظهور الكسر فيما يشير إلى مرتبته، وفي الابتداء به هنا رمز إلى صفة من أنزل عليه الكتاب والداعي إلى الله. وفي ذلك مع بيان صفة المدعو إليه بأنه الرحمن الرحيم تشويق Tam وترغيب عظيم وقد تدرج أيضاً حل شأنه في وصفه ﷺ بذلك في القرآن إلى أن قال سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ
خُلُقِ عَظِيمٍ) وما من سورة إلا افتحها رب بالرمز إلى حاله ﷺ تعظيمياً له وبشارة لمن ألقى السمع وهو شهيد. ولما كان الجلال في سورة "براءة" ظاهراً ترك الإشارة بالبسملة وأتى بباء مفتوحة لتغير الحال وإدخاء الستر على عرائس الجمال ولم يترك سبحانه وتعالى الرمز بالكلية إلى الحقيقة المحمدية ولا يسعنا الإفصاح بأكثر من هذا في هذا الباب خوفاً من قال أرباب الحجاب وخلفه سر حليل والله تعالى الهادي إلى سواء السبيل^{٤٤٥}.

^{٤٤} في الأصل "واما" بدلـه الباحث بـ"إما" لأنـه أنسـب

^{٤٤} أحمد بن محمد القسطلاني، **الموهاب اللدنية بالمنج الحمدية** (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٦هـ / ١٤١٧هـ) ج: ١، ص: ٣٦ و إسماعيل بن محمد المحلري، **كتشف الخناقة و مزيل الإلباس** عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (مجهول المكان، مكتبة القدس، ١٤٥١هـ)، ج: ١، ص: ٢٦٥ والحافظ عبد الرزاق الصناعي، **الجزء المقود من الجزء الأول من المصنف**، تحقيق: الدكتور عيسى الحموي (مجهول المكان والمطبع، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م)، ص: ٦٣-٦٦.

٤٤٢ إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الالبس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس (عجمول المكان، مكتبة القدس، ١٣٥١هـ)، ج: ٢ ص: ١٦٤. وقال العجلوني: قال الصغاني: موضوع. وأقول: لكن معناه صحيح وإن لم يكن حدثاً. وهناك حديث آخر: (أتاني جبريل فقال يا محمد لو لاك لما خلقت الجنة ولو لاك لما خلقت النار) رواه الدبلمي عن ابن

^{٤٥} عمر. انظر العجلوني، المراجع السابق، ج: ١ ص: ٥٦٧

الأنبياء: ١٠٧

١٢٨

^{٤٤٠} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١ ص: ٩٦ - ٩٨

من نص الآلوسي آنفًا يمكن أن يستنتج: أن الألف في "بسم" المذوف أو المخفي – أصله "باسم" – إشارة إلى الغيب المطلق أو المرتبة الأولى، لذا كان الألف مخفياً أبداً لأنها تشير إلى الغيب المطلق، قال تعالى في الحديث القدسي: كتَ كُنْزًا مُخْفِيًّا^{٤٦}). والباء: (١) إما تشير إلى صفاتـه تعالى الجمالية والجلالية التي هي المرتبة الثانية، وكسرة الباء ترمـز الصـفاتـ الجـمالـية وهي في مقابلـة صـفاتـ الله تعالى الجـلالـية التي ترمـز بالفتحـة كما في بـاءِ أـولـ سـورـة التـوـبـة (بـراءـةِ مـنَ اللـهـ ورـسـوـلـهـ...^{٤٧}). ولـذا بدـئ كلـ السـورـ القرـآنـية إـلا سـورـة التـوـبـة بالـبـسـمـةـ المـنـخـضـةـ الـباءـ لأنـ رـحـمـةـ اللهـ الـتيـ هيـ صـفـةـ جـمـالـيةـ وـسـعـتـ كـلـ شـيـءـ كـمـاـ قـالـ تعالىـ: (وـرـحـمـتـيـ وـسـعـتـ كـلـ شـيـءـ^{٤٨}) وـقـالـ: (رـبـنـاـ وـسـعـتـ كـلـ شـيـءـ رـحـمـةـ^{٤٩}) وـقـالـ فيـ الحـدـيـثـ الـقـدـسـيـ: (سـبـقـتـ رـحـمـتـيـ غـضـبـيـ). وـلـاـ تـبـتـدـءـ سـورـةـ التـوـبـةـ بـالـبـسـمـةـ بـلـ تـبـتـدـءـ بـالـباءـ المـفـتوـحةـ (بـراءـةِ مـنَ اللـهـ ورـسـوـلـهـ) لـأنـ مـقـتضـيـ الـحـالـ تـغـيـرـ وـيـوجـبـ اللـهـ تـعـالـيـ أـنـ يـتـجـلـيـ بـصـافـاتـ الـجـلالـيةـ عـدـلـاـ لـمـخـلـوقـاتـهـ. (٢) إـماـ تـشـيرـ إـلـىـ نـورـ مـحـمـدـ ﷺـ الـذـيـ هـوـ الـحـقـيقـةـ الـحـمـدـيـةـ وـالـتـعـينـ الـأـوـلـ الـمـشـارـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ ﷺـ: (أـولـ مـاـ خـلـقـ اللـهـ نـورـ نـبـيـكـ، يـاـ جـابـرـ)، وـكـسـرـةـ الـباءـ كـانـتـ زـمـزاـ لـصـفـةـ رـحـمـتـهـ ﷺـ لـأـنـ الـغالـبـ عـلـيـهـ صـفـةـ الرـحـمـةـ – كـمـاـ قـالـ تـعـالـيـ: (وـمـاـ أـرـسـلـنـاـكـ إـلـاـ رـحـمـةـ لـلـعـالـمـينـ) – لـأـسـيـمـاـ لـمـؤـمـنـيـ أـمـتـهـ الـمـشـارـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ تـعـالـيـ: (بـالـمـؤـمـنـينـ رـعـوـفـ رـحـيمـ).

^{٤٦} ولنطه الكامل: (كنت كثرا لا أعرف، فأحبيت أن أعرف، فخلقت خلقاً، فعرفتهم بي فعرفون). وفي لفظ (عُرِفَتْ إِلَيْهِمْ فِي عَرْفَوْنَ)، قال ابن تيمية ليس من كلام النبي ﷺ ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف. وتبعد الزركشي والحافظ ابن حجر في اللذى والسيوطى وغيرهم. وقال القاري لكن منه صحيح مستناد من قوله تعالى (وَمَا خَلَقْتَ أَجْنَانَ إِلَّا لِيَعْلَمُونَ) أي ليعرفونى كما فسره ابن عباس رضي الله عنهم. والمشهور على الألسنة (كنت كثرا مخفياً فأحبيت أن أعرف فخلقت خلقاً في عرفون). إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف المغفاء وزميل الإلباب عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس (عجمول المكان).

مكتبة القدس، ١٣٢ ص: ٢ ج: ١٣٥١هـ

٤٧

٢٤٨ الأعراف: ١٥٦

۲۴۹ غافر:

هذا الإشارتان – عند الباحث – في الحقيقة يعني واحد لأن المرتبة الثانية هي عين الحقيقة المحمدية أو نور محمد ﷺ، قال عبد الكريم الجيلي: هي – المرتبة الثانية – أول التنزّلات الذاتية المعتبر عنه بالتجلى الأول أو التعيين الأول ... وهي عبارة عن حقيقة الحقيقة المحمدية^{٢٥٠}. وقال محمد نفيس البنجاري: والثانية من مراتب التنزّلات الذاتية هي تسمى بمرتبة الوحدة، ظهر منها جميع الصفات (جماليةً كانت أو جلاليةً/ زيادة الباحث) والأسماء إجمالاً، أي جماعةً (من غير امتياز بعضها عن بعض/ زيادة الباحث)، وهي حقيقة نبينا محمد ﷺ؛ أصل جميع الموجودات و حياتها. فنبينا محمد ﷺ (نور محمد ﷺ) هو هوية العالم، يعني حقيقة العالم وأصل الأشياء لأن جميع الأشياء خلق من نور نبينا محمد ﷺ^{٢٥١}. فنور محمد ﷺ هو الذي تشير إليه كلمة "في" في الحديث القديسي: (كنت كثراً مخفياً فأحببت أن أعرف، فحلقت الخلق لأعروف، في عرفوني^{٢٥٢}) لأن عدد "في" بالجمل اثنان وتسعون وعدد اسم "محمد" ﷺ اثنان وتسعون كذلك^{٢٥٣}. فبأصرّح العبارة: نور محمد ﷺ هو عين رحمة الله تعالى التي وسعت كل شيء كما في (وَرَحْمَتِي وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ) وفي (رَبَّنَا وَسَعَتْ كُلُّ شَيْءٍ رَحْمَةً) هي في الحقيقة عين نور محمد ﷺ ولذا كان محمد رحمة للعالمين أي لكل شيء كما في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ). وهذه الرحمة رحمة رحمان، رحمة عامة تعم كل الموجودات بإخراجهم من ظلمة العدم إلى نور الوجود، ورحمة خاصة للمؤمنين المتقيين كما يشير ذلك قوله تعالى: (فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُهُنَّ

^{٤٥} عبد الكريم الجيللي، مراتب الوجود وحقيقة كل موجود (بجهول المكان والمطبع والستنة)، ص: ٤١

H.Ahmadi Isa, Ajaran Tasawuf Muhammad Nafis dalam Perbandingan (Jakarta: PT ¹⁰¹ Pustaka Setia, 2010).

RajaGrafindo Persada), hal: 8.

^{٤٥٢} إسماعيل بن محمد العجلون، كشف الخفاء ومزيل الالبس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس (بجهول المكان، مكبة

القدس، ١٣٥١-١٩٥٠)، ج: ٢، ص: ١٢٢

^{٤٥٣} محمد هاء الدين البيطار، النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية (بيروت: دار الجليل، مجهول السنة)، ص:

— 19 —

الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبي الأمي)، فكان المسلمين نالوا رحمتين، رحمة عامة ورحمة خاصة كما قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وأمنوا برسله يورتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً)، ولذا كان النبي ﷺ رحيمًا بالمؤمنين كما قال تعالى: (بالمؤمنين رعوف رحيم).

فكان نور محمد ﷺ رحمة للمؤمنين العارفين لكونه واسطة لمعرفتهم الله تعالى لأنّه لا يمكن إدراك كنه الله تعالى كما لا يمكن إدراك حقيقة كنه الشمس مع أنّ الشمس من جملة عالم الشهادة، لاسيما كنه الله تعالى الذي هو الغيب المطلق (لَا تُنْذِرِ كُمُّ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُنْذِرُكُ الْأَبْصَارَ^{٢٥٦}). فالله تعالى يعرف بواسطة نور محمد ﷺ (أي بمشاهدة نور محمد ﷺ) كما أنّ الشمس يعرف بنورها (أي بمشاهدة نورها) - جل وتعالى الله أن يشبهه شيء. ولذا قال ﷺ: (من رأى فقد رأى الحق^{٢٥٧}). قال النبي ﷺ - حين سئل هل رأيت ربك؟: (رأيت نوراً) وفي روایة: (نور أني أراه) يعني لا أرى منه إلا النور المتعين بحقيقة (نور محمد ﷺ / زيادة الباحث) لا النور المطلق الذي لا يحكم عليه بوجود أو عدم فهو وراء التجلی^{٢٥٨}. وهذا لا يبعد، لأنّ نور محمد ﷺ هو الإسم الأعظم (الله) الذي أشار

^{١٥٦} استمرار قوله تعالى: (ورحمتي وسعت كل شيء)، سورة الأعراف: ١٥٦-١٥٧

٢٠٥ الحدید: ٢٨

١٥٦

^{٤٥} الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيف البخاري (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص: ١٧٣٣ والإمام مسلم النسابوري، صحيف مسلم (الرياض: دار المتن، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص: ١٢٤٥ وأبو بكر أحمد البيهقي، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م)، ج: ٧، ص: ٤٥

^{٥٨} محمد بن مسلم البخاري، المراجع السابق، ص: ١٩. هذه المعرفة (رؤبة الله تعالى) هي حقيقة الشهادة بشهادتين (لأن في الحديث النبوي يقال "إن شهدت أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله"، لا "إن تقول: أشهد أن لا إله إلا الله وإن محمداً رسول الله"). ولا يختص شهادة مثل هذا بالنبي محمد ﷺ فحسب، بل يجري أيضاً للمؤمنين غيره (ولكن التفاوت بينه وبينه في هذه الشهادة أمر لا يحصى). لأن نور محمد ﷺ هو حقيقة كل إنسان (بل حقيقة جميع العالم كما ذكره محمد تقىي البنجاري فيما سبق) المعبر عنه في مكان آخر بالروح المنفحة كما في قوله تعالى: (ونفتحت فيه من روحِي) وفي مكان آخر بقدرة الله كما قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها) وفي مكان آخر يشار بالنبي حضر عليه السلام. فمن عرف حقيقة نفسه فقد عرف الله تعالى: كما يشير إليه قوله تعالى: (ستر بهم آياتنا في الآفاق وَلَيُكْفِرُوهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ) وقيل في الحديث النبوي: (من

إليه قوله تعالى: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ^{٢٥٩}) فضمير (هو) راجع إلى الضمير المستتر الذي في (قل) وهو "أنت".^{٢٦٠} والمعنى: هو أي أنت (حقيقةك أو نور محمد ﷺ) الله أحد. ولذا أدخل عبد الكريم الجيلي الإسم الأعظم (الله) من أسمائه ﷺ مستدلاً بقوله تعالى: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ^{٢٦١}) وقوله: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ^{٢٦٢}). انتهى^{٢٦٣}

ومن كلام الآلوسي الذي يثبت بأولية نور محمد ﷺ أيضاً قوله في تأويل قوله تعالى: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ): أي من حنسكم لتقع الألفة بينكم وبينه فإن الجنس إلى الجنس يميل وحيثما يسهل عليكم الاقتباس من أنواره ﷺ. وقرىءَ كما قدمنا (مِنْ أَنفُسِكُمْ) أي أشرفكم في كل شيء ويكفيه شرفاً أنه عليه الصلاة والسلام أول التعيينات وأنه كما وصفه الله تعالى على خلق عظيم .
وقوله في تأويل قوله تعالى: (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِيداً): على جميع المخلوقات إذ كنتَ أول مخلوق، ومن هنا أحاط ﷺ علمًا بما لم يحط به غيره من المخلوقات لأنك شاهدُ خلق جميعها، ومن هذا المقام قال ﷺ: (كنتْ نبِيًّا وآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ

عرف نفسه عرف ربه). ولكن، هذه المعرفة لا تكفي لمعرفة أن حقيقة الإنسان هو نور محمد ﷺ معرفة نظرية عقلية فقط، بل لابد بالكشف والمشاهدة، لأن النبي ﷺ يقول حين سأله رجل عن الشهادة: قال: هل ترى الشمس؟، قال: نعم، قال: على مثلها فاشاهد. وهذه المشاهدة أيضاً لابد بإرشاد الشيخ العارف المرشد الكامل، لأنه من لم يكن له شيخ فشيخه شيطان.

٢٠٩

^{٦٠} عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل؛ في معرفة الآخر والأوائل (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٤١٨هـ) /

٣٥: ص (١٩٩٧)

٢٦١ النساء: ٨٠

٢٦٢ الفتح:

^{٦٣} عبد الكريم الجيلي، الكلمات الإلémية في الصفات الحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥ـ) /

٤٠٠ مـ)، ص:

٢٦٤ التربة:

^{٣٦٥} شهاب محمود الدين الالوسي، المراجع السابق، ج: ٦ ص: ٣٠٠

الفتح: ٨

وأبا الجسد^{٢٦٨}). وقوله في تأويل قوله تعالى: (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ): وقيل: هذا إشارة إلى قوله ﷺ (أول ما خلق الله تعالى نوري^{٢٦٩})^{٢٧٠} وقوله في تأويل قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ): وكونه ﷺ رحمة للجميع باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام واسطة الفيض الإلهي على المكانت على حسب القوابل، ولذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات، ففي الخبر (أول ما خلق الله تعالى نور نبيك يا حابر) وجاء (الله تعالى المعطي وأنا القاسم^{٢٧١})^{٢٧٢}، وقوله في تأويل قوله تعالى: (تُتَبَّعِرُ أُمُّ الْقَرِىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا): قيل يشير ذلك إلى إنذار نفسه الشريفة لأهنا أم قرى نفوس آدم وأولاده لأنه ﷺ أول العالمين خلقاً ومنه ﷺ نشأت الأرواح والنفوس ومن هذا كان آدم ومن دونه تحت لوائه ﷺ.^{٢٧٣}

كمخلوق من نور الله تعالى: أما كون محمد ﷺ خلق من نور الله

تعالى، فقد أثبت ذلك الآلوسي بقوله: وأعظم من يوسف عليه السلام في هذا الباب عند ذوي الأ بصار السليمة النور الحمدي المندرج من النور الإلهي والمشعشع في مشكاة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام فإنه لعمري أبو الأنوار، وما نور

^{١٧} المحافظ الحاكم النيسابوري، المستارك على الصحيحين، طبعة متضمنة انتقادات النهي (القاهرة، دار الحرمين، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ / ١٩٩٧م)، ج: ٢ ص: ٧٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

^{٢١٦} شهاب الدين محمود الألوسي، المراجع السابق، ج: ١٣ ص: ١٨١
^{٢١١} قال السيوطي في تعليق حامض الترمذى المسمى بقوت المفتدى عند شرح حديث إن أول ما خلق الله القلم: قال زين العرب في شرح المصايب يعارض هذا الحديث ما روى، إن أول ما خلق الله العقل، وإن أول ما خلق الله نورى، وإن أول ما خلق الله الروح، وإن أول ما خلق الله العرش. ويجاب بأن الأولية من الأمور الإضافية فيأول إن كل واحد مما ذكر خلق قبل ما هو من جنسه فالقلم خلق قبل الأجسام ونوره عليه الصلاة والسلام قبل الأنوار ويحمل حديث العقل على أن أول ما خلق الله من الأجسام الطيبة العقل ومن الكثيفة العرش فلا تناقض في شيء من ذلك انتهى أبي كلام زين العرب. فلت (السيوطى) حديث العقل موضع والثلاثة الآخر لم ترد بهذا اللفظ. جلال الدين السيوطي، قوت المفتدى على حامض الترمذى، تحقيق: ناصر بن محمد الغريبى (المملكة العربية السعودية)، وزارة التعليم العالى جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة.

١٤٢٤ ج: ١ ص: ٥٦

^{٢٧} شهاب الدين محمود الالوسي، المترجم السابق، ج: ٥ ص: ٩٤

^{٧٦٨} الإمام محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري (بيروت: دار ابن كثير، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م)، ص: ٧٦٨

٣٧٢ شهاب الدين محمد الالبي، المجمع السابق، ج: ٩ ص: ٥٣٩

٦٢٧ شهاب الدين: محمد الالبي، المجمع السابعة، ج: ١٢ ص:

يوسف بالنسبة إلى نوره عليه الصلاة والسلام إلا النجم وشمس النهار^{٢٧٤}. وقال حين يبين أمر معراج النبي ﷺ ناقلاً عن قول بعض الصوفية: أمر المعراج أجل من أن يكيف وماذا عسى يقال سوى أن المحب القادر الذي لا يعجزه شيء دعا حبيبه الذي خلقه من نوره إلى زيارته وأرسل إليه من أرسل من خواص ملائكته فكان جبريل هو الآخذ بركابه وميكائيل الآخذ بزمام دابته إلى أن وصل إلى ما وصل ثم تولى أمره سبحانه بما شاء حتى حصل فأي مسافة تطول على ذلك الحبيب الرباني وأي جسم يمتنع عن الخرق لذلك الجسد النوراني^{٢٧٥}.

قال الشيرامي - كما نقله العجلوني في كشف الغماء: ليس المراد بقوله من نوره ظاهره؛ من أن الله تعالى له نور قائم بذاته لاستحالته عليه لأن النور لا يقوم إلا بالأجسام، بل المراد خلق من نور مخلوق له قبل نور محمد وأضافه إليه تعالى لكونه تولى خلقه. ثم قال ويجترئ أن الإضافة ببيانه، أي خلق نور نبيه من نور هو ذاته تعالى لكن لا يمعنى أنها مادة خلق نور نبيه منها بل يمعنى أنه تعالى تعلقت إرادته بإيجاد نور بلا توسط شيء في وجوده، قال وهذا أولي الأحوية ^{٢٧٦}.

كأصل العالم: وأما كون محمد ﷺ كأصل العالم أي خلقت العالمين منه، فقد بيّنه الآلوسي في تفسير قوله تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةَ اسْجُدُوا لِإِدَمْ فَسَجَدُوا إِلَّا إِيلِيَّسَ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ^{٢٧٧}): وأفهم كلام القوم نفعنا الله تعالى بهم أن جميع المخلوقات علوتها وسفليتها سعيدها وشقيها مخلوق من الحقيقة الحمدية ﷺ كما يشير إليه قول النابلسي قدس سره دافعاً ما يرد على الظاهر:

طه النبي تكونت من نوره ** كل الخليقة ثم لو ترك القطا

^{٤٥٨} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ٧ ص: ٤٥٨

^{٣٧٤} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ٨ ص: ٣٧٤

^{٢٧٦} إسماعيل بن محمد العجلوني، كشف الحفاء ومزيل الإلbias عما اشتهر من الأحاديث على السنة النبوية (بعهول المكان)، مكتبة

القدس ١٣٥١ھ)، ج: ١ ص:

٢٦٧ البقرة: ٣٤

وفي الآثار ما يؤيد ذلك، إلا أن الملائكة العلوين خلقوا منه عليه الصلاة والسلام من حيث الجمال، وإليس من حيث الجلال^{٢٧٨}. فالآثار التي تؤيد ما قال الألوسي قد ذكرت في الباب الثاني من هذا البحث، وأما كون الملائكة خلقت من نور محمد ﷺ من حيث الجمال وإليس من حيث الجلال، فقد أشار إليه ما روى مسلم عن عائشة رضي الله تعالى عنها: (خلقت الملائكة من نور وخلق الجنان من مارج من نار)^{٢٧٩}. من المعلوم عند الناس أن النور رمز لصفة الجمال، والنار رمز لصفة الجلال. ولذا، وصفه ﷺ الله تعالى بالسراج المنير كما في قوله: (وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)، والسراج في آية أخرى كان صفةً للشمس كما قال تعالى: (وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا^{٢٨٠})، والمنير في آية أخرى وصفاً للقمر كما قال تعالى: (وَقَمِرًا مُنِيرًا^{٢٨١}). هذا أي وصف النبي ﷺ بالسراج المنير إشارة إلى أن نور محمد ﷺ عبارة عن جميع الأسماء والصفات الإلهية الجمالية والجلالية، كما قال محمد نقيس البنجاري فيما تقدم.

وقال الألوسي في تفسير قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ):
وقيل المراد بالعالمين جميع الخلق، فإن العالم ما سوى الله تعالى وصفاته جل شأنه،
وجمع جم العقلاء تغليباً للإشراف على غيره. وكونه **رحمه** للجميع باعتبار أنه
عليه الصلاة والسلام واسطة الفيض الإلهي على المكبات على حسب القوابل
(على حسب استعدادهم قبول رحمته العامة - كالإيجاد من العدم والحياة والرزق
بأنواعه وغيرها -، ورحمته الخاصة - كالمعرفة والمقامات والمكافئات الربانية
وغيرها/ زيادة الباحث)، ولذا كان نوره **رحمه** أول المخلوقات، ففي الخبر (أول ما
خلق الله تعالى نور نبيك با حابر) وجاء (الله تعالى المعطى وأنا القاسم)^{٢٨٣}.

^{٢٧٨} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١ ص: ٣٥٣ - ٣٥٤

^{٢٧٩} الإمام مسلم النيسابوري، صحيح مسلم (الرياض: دار المفتي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م)، ص: ١٥٩٧

٢٨٠

٢٨١ الفرقان: ٦

^{٢٨٢} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٩ ص: ٥٣٩

وقال من باب الإشارة في تفسير هذه الآية: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلنَّاسِ)؛ أكثر الصوفية قدست أسرارهم على أن المراد من العالمين جميع الخلق وهو **رسالة** رحمة لكل منهم إلا أن الحظوظ متفاوتة ويشترك الجميع في أنه عليه الصلاة والسلام سبب لوجودهم بل قالوا: إن العالم كله مخلوق من نوره **رسالة**. ونقل الآلوسي شعر النابليسي الذي سبق، ثم قال: وأشار بقوله لو ترك القطا إلى أن الجميع من نوره عليه الصلاة والسلام وجه الانقسام إلى المؤمن والكافر بعد تكونه **رسالة**.

وقال الآلوسي نقاً عن قول أرباب الإشارات: (كتنِّي أُم القرى وَمَنْ حَوْلَهَا^{٢٨٤})، قيل يشير ذلك إلى إنذار نفسه الشريفة لأنها أم قرى نفوس آدم وأولاده لأنه **ﷺ** أول العالمين خلقاً ومنه عليه الصلاة والسلام نشأت الأرواح والآنفوس ومن هذا كان آدم ومن دونه تحت لوائه **ﷺ**^{٢٨٥}. وقال في تأويل قوله تعالى: (الذِّي خَلَقَكُمْ مَنْ تَفْسِّرُ وَاحِدَة^{٢٨٦}): وهي الحقيقة الحمدية ويعبر عنها أيضاً بالنفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم وبآدم الحقيقى الذى هو الأب لآدم^{٢٨٧}. وقال الآلوسي أيضاً من باب الإشارة في قوله تعالى: (طه^{٢٨٨}): وقيل: إن (ط) لكونه بحساب الجمل تسعه وإذا جمع ما انطوت عليه من الأعداد أعني الواحد والإثنين والثلاثة وهكذا إلى التسعة بلغ خمسة وأربعين إشارة إلى آدم لأن أعداد حروفه كذلك، و(هـ) لكونها بحساب الجمل خمسة وما انطوت عليه من الأعداد يبلغ خمسة عشر إشارة إلى حوا بلا همز، والإشارة بمجموع الأمرين إلى أنه **ﷺ** أبو

^{٢٨٣} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٩ ص: ٥٤٤

٢٨٤ الشورى:

^{٤٨٠} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ١٢ ص: ٦٢٧

٢٨٦ النساء:

^{٢٨٧} شهاب الدين محمود الآلوسي، المرجع السابق، ج: ٣ ص: ٢٨٧

٢٨٨

الخلية وأمها فكانه قيل: يا من تكونت منه الخلية^{٢٨٩}. وهذا - عند الباحث - لا يبعد، لأن طه اسم من أسماء النبي ﷺ، قال القرطبي في تفسيره: وقد سرد القاضي عياض أقوال المفسرين في معنى (يس) فحكي أبو محمد مكي أنه روى عن النبي ﷺ قال: (لي عند ربِّي عشرة أسماء) ذكر أن منها (طه) و(يس) اسمان له^{٢٩٠}. وقال **قال:** (إن لي فتح القدير: أخرج ابن مردویه عن أبي الطفیل قال: قال رسول الله ﷺ: (إن لي عند ربِّي عشرة أسماء) قال أبو طفیل: حفظت منها ثمانیة: (محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحي والعاقب والحاشر) وزعم سیف أن أبو جعفر قال له: الاسمان الباقيان (طه) و(يس)^{٢٩١}. وأخرج البيهقي في الدلائل عن ابن عباس في قوله: (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) قال: يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى وكان يقوم الليل على رجلٍ فهی لغة لعک، إن قلتَ لعکي: يا رجل، لم یلتفت! وإذا قلتَ طه!، التفتَ إلیك^{٢٩٢}.

المبحث الثالث: نور محمد رسالة كمستمد الأنبياء والأولياء ومستمد كل علم وعرفان

كمستمد الأنبياء والأولياء: قال الفتيازاني مستنبطا من كلام الحجاج: من نور محمد ﷺ استمد كل علم وعرفان، ومنه استمد كل الأنبياء السابقين وجميع الأنبياء اللاحقين على محمد ﷺ^{٢٩٣}. مما يدل أن الانبياء يستمدون من نور محمد ﷺ من كلام الآلوسي قوله في تأويل قوله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْبَيْنِ)^{٢٩٤}:

^{٢٨٩} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ٩ ص: ٢٨٥

^{٤٠} أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المجامع لأحكام القرآن، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية -١٩٣٨م / ١٩٦٤م)، ج: ١٥، ص: ٤.

^{٤٩١} محمد الشوكان، فتح القدير، تحقيق عبد الرحمن عميرة (مجهول المكان، المطبع، وسنة الطبع)، ج: ٣ ص: ٤٩٥

^{٤٢٢}أحمد بن الحسين لبيهقي، دلائل النبيرة وتعريف أحوال صاحب الشريعة (بيروت: دار الكتب العلمية، مجهول سنة الطبع)،

السفر الأول، ص: ١٥٨-١٥٩

^{٢٣} أبو الرفاء الغنمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف الإسلامي (القاهرة: دار الشفاعة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، بدون السنة)،

ص: ۱۳۲-۱۳۱

۲۹۴ آل عمران: ۱۸

الآية فيه إشارة إلى أنه سبحانه أخذ العهد من نواب الحقيقة المحمدية في الأزل بالانقياد والطاعة والإيمان بها، وخصهم بالذكر لكونهم أهل الصف الأول ورجال الحضرة^{٢٩٥}. فكون الأنبياء نواب الحقيقة المحمدية يدل أنهم يستمد منها، لأن من لوازم النائب أن يستمد من المنيب في أموره. قال عبد الكريم الجيلي في تأويل استمرار هذه الآية^{٢٩٦} أي قوله تعالى: (لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ): دليل على أنهم لم يدركوا الكلمات المحمدية بالكشف حتى تكون لهم مشهودة، وسبب ذلك أن الفرع لا سبيل له إلى أن يحيط بالأصل. فأخذ الله عليهم الميثاق أن يؤمنوا بكمالاته إيماناً بالغيب ليكون ذلك سبباً لهم إلى المفاوز الذاتية فيحصلوا بذلك في مرتب الأكمالية، ويتحققوا به لعلمه أنهم لا يدركون ذلك إلا بواسطة محمد^ص^{٢٩٧}.

فكون الأنبياء (و كذلك الأولياء؛ من باب الأولى) يستمدون من نور محمد ﷺ على محمد ﷺ لأن مظهر نور محمد ﷺ الذاتي التام هو شخص محمد ﷺ. قد ذكر فيما مضى: أن العلاقة بين الحقيقة الحمدية وبين أي نبي من الأنبياء تختلف عن العلاقة بينها وبين النبي محمد ﷺ، فالحقيقة الحمدية التي هي النور الحمدي والتي لها أسبقية الوجود على النشأة الجسدية الحمدية، لها ظهور في كل نبي بوجه من الوجوه (نواب محمد: مظهر الحقيقة العيسوية من الحقيقة الحمدية، والحقيقة الموسوية من الحقيقة الحمدية) إلا أن مظهرها الذاتي التام واحد، وهو: شخص محمد ﷺ .

وقال الألوسي في تفسير قوله: (يَتَعْوَنُ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةُ أَيْمُونٌ أَقْرَبُ):
وقيل هي (الوسيلة) الشافعة يوم القيمة، ولما كان مقام الوسيلة بهذا المعنى خاصاً

^{٤٩٥} شهاب الدين محمود الالوسي، روح المعانى في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى)

٢٦٩ / ١٤٢٣، المجلد: ٢ ج: ٣ ص:

^{٦٦} استمرارها: (وَإِذَا خَذَلَ اللَّهُ مِنْيَافَ الْبَيْنَ لَمَّا أَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَجَحَدْتُمْ ثُمَّ حَاجَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتَرْفَعُنَّ بِهِ)

^{٤٧} عبد الكريم الجليلي، الكلمات الإلهية في الصفات الحمدية (بيروت: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ) /

۱۹ : (۲۰۰۴)

^{٤٦} الدكتورة سعاد الحكيم، المعجم الصوبي، (بيروت: دندرة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ص: ٣٥١

بنبينا ﷺ أطلقوا الوسيلة عليه عليه الصلاة والسلام، وفسرها بذلك هنا بعض الصوفية فكل من عبد من دون الله تعالى عيسى وعذير والملائكة عليهم السلام وسليتهم إلى الله تعالى نبينا ﷺ بل هو عليه الصلاة والسلام وسيلة سائر الموجودات والواسطة بينهم وبين الله تعالى في إفاضته سبحانه الوجود وكذا سائر ما أفيض عليهم وأحاطى الخلق بوساطته الأنبياء عليهم السلام فإنهم أشعة أنواره وعکوسات آثاره وهو النور الحق والنبي المطلق وكان نبياً وآدم بين الماء والطين وقد تلقى الأنبياء منه من وراء حجاب الأرحام والأصلاب وظهروا إذ كان محتاجاً ظهور الكواكب في الليل فلما بزغت شمس النبوة المطلقة من أفق الظهور غابوا ونسخت أحکامهم على نحو غيبة الكواكب وإفحاق أنوارها وأضوائهما عند طلوع الشمس من تحت الحجاب منخلعة عن الجلباب .^{٢٩٩}

وما يدل على ذلك من كلام الآلوسي، قوله في تأویل قوله تعالى: (الذِّي
أَمَّ الْقَرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ..)؛ قيل يشير ذلك إلى إنذار نفسه الشريفة لأنها أم قرى
نفوس آدم وأولاده لأنه ﷺ أول العالمين خلقاً ومنه عليه الصلاة والسلام نشأت
الأرواح والنفوس ومن هذا كان آدم ومن دونه تحت لوائه ﷺ . فقوله آدم وما
دونه تحت لوائه ﷺ يدل على أن الأنبياء صلوات الله عليهم - وكذلك الأولياء
إذا اعتبر من باب الأولية - يستمد على محمد ﷺ، كما أن الجيوش يستمد على
لواء قائدتهم.

كمستمد كل علم وعرفان: وأما عن مسألة أن كل علم وعرفان استمد من نور محمد ﷺ فقد تبين ذلك في قوله حين يفسر قوله تعالى: (وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) يستضيء به الضالون في ظلمات الجهل والغواية ويقتبس من نوره أنوار المهتدين

^{٤٤} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ٨ ص: ٥٣٧ - ٥٣٨

٣٠٠ الشورى:

^{٣٠١} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ١٢ ص: ٦٢٧

إلى مناهج الرشد والهدایة^{٣٠}. من هذا الكلام يمكن أن يُستنتج أن جميع العلوم والمعارف والمكاشفات التي أفضّلها الله تعالى على قلوب المؤمنين من الأنبياء عليهم السلام والأولياء والعارفين قدس الله أسرارهم يستمد من نور محمد ﷺ كما أن ظهور الأشياء يستمد من نور الشمس. وهذا لا يبعد بوجهين، الأول: وصف النبي ﷺ (يعني نور محمد ﷺ كما سبق بيانه) في هذه الآية بالسراج المنير، ومن لوازمه السراج المنير هو الإنارة التي بها ظهور الأشياء، ولذا قال الالوسي: "يستضيء به الضالون في ظلمات الجهل والغواية ويقتبس من نوره أنوار المهتدين إلى مناهج الرشد والهدایة". والثاني: أن نور محمد – كما قد ذكر – هو واسطة الفيض الإلهي على المكhanات على حسب القوابل، ومن الفيووضات الإلهية إلقاء العلوم والمعارف والمكاشفات في القلوب المستعدة أي قلوب العارفين والأولياء قدس الله أسرارهم. فإذاً، كان نور محمد ﷺ في حقهم كالسراج المنير لظهور الفيووضات الإلهية.

ويتبين ذلك أيضاً في قوله حين يفسر قوله تعالى: (وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُوراً) من نور ذاته عز وجل وهو على ما قيل: إشارة إلى البقاء بعد القيمة، وقيل: هذا النور إشارة إلى نور الكشف والمشاهدة رتب سبحانه جعله للمؤمن على تقواه وإيمانه برسوله الأعظم ص. فقوله "من نور ذاته عز وجل" هو - إن صح التعبير - نور محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه لأن الألوسي فيما سبق يقر بأن نور محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه من نور الله تعالى. وكذلك قوله "رتب سبحانه جعله للمؤمن على تقواه وإيمانه برسوله الأعظم صلوات الله عليه وآله وسلامه" يشير إلى أن نور الكشف والمشاهدة ينال بالتقى والإيمان بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه أي ينال بعد مشاهدة نور محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه أي معرفة الله تعالى ص. لأن الإيمان الكامل بالنبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لا يكون إلا بعد معرفة صلوات الله عليه وآله وسلامه أي مشاهدة نور محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه. ومن هنا ظهر سر قوله

^{٣٠٢} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١١ ص: ٥٤٨

^{٣٠٣} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ١٣ ص: ٥٥٧

^{٣٤} قد ذكر فيما تقدم أن معرفة الله تعالى تحصل بواسطة مشاهدة نور محمد ﷺ

الله: (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْتَظِرُ بَنُورَ اللَّهِ^{۲۰۰}) أي اتقوا فراشة المؤمن العارف بالله تعالى (الذي قد شهد نور محمد ﷺ مشاهدة) لأنه ينظر بنور الله تعالى أي بنور محمد ﷺ الذي هو كالسراج المنير الذي يظهر به الأشياء حالياً.

قال الألوسي ناقلاً عن قول ابن القيم: أنه لو لا النبوات لم يكن في العالم علم نافع للبنته ولا عمل صالح ولا صلاح في معيشة ولا قوام لملكة ولكان الناس بمثابة البهائم والسباع العادية والكلاب الضارب التي يعدو بعضها على بعض، وكل خير في العالم فمن آثار النبوة وكل شر وقع في العالم أو سيقع في بسبب خفاء آثار النبوة ودروسها، فالعالم جسد روحه النبوة ولا قيام للجسد بدون روحه، وهذا إذا انكسفت شمس النبوة من العالم ولم يبق في الأرض شيء من آثارها البنته انشقت سماءه وانتشرت كواكبها وكورت شمسه وخسف قمره ونسفت جباله وزلزلت أرضه وأهلك من عليها فلا قيام للعالم إلا بآثار النبوة. ثم تعقب الألوسي بقوله: وإذا سلم هذا علم منه بواسطة كونه ﷺ أكمل النبيين وما جاء به أجل مما حأوا به عليهم السلام وإن لم يكن في الأصول اختلاف وجه كونه عليه الصلة والسلام أرسل رحمة للعلميين أيضاً لكن لا يخلو ذلك عن بعثٍ .

الفصل الثاني: منهج الآلوسي التفسيري في إثبات نظرية نور محمد ﷺ

قد ظهر من البيانات الموجودة في الفصل المتقدم مفهوم نور محمد ﷺ عند الآلوسي في تفسيره "روح المعانٰ"، والآن لابد من ملاحظة تلك البيانات المتقدمة مرة ثانية لمعرفة منهج الآلوسي التفسيري في إثبات فكرة نور محمد ﷺ. فظهور الباحث من البيانات الموجودة أن منهج الآلوسي التفسيري في إثبات نور محمد ﷺ كما يلي:

^{٣٥} محمد بن عيسى الترمذى، الجامع الكبير، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف (بيروت: دار الغرب الإسلامى، الطبعة الأولى)

٢٠٠ ج: ٥ ص: ١٩٩٦

^{٣٦} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٩ ص: ٥٣٩

١. الاستدلال بالمنقول (التفسير بالتأثير)

قد علم أن المقصود من التفسير بالتأثر هو: ما نقل عن رسول الله ﷺ، وما نقل عن صحابته رضوان الله عليهم أجمعين، وما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم^{٣٠٧}. وقال الدكتور محمد أبو شهبة: فالتفسير بالتأثر أي بالمنقول، سواء أكان متواتراً أم غير متواتر. وعلى هذا: يشمل المنقول عن الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم، والمنقول عن النبي ﷺ، والمنقول عن الصحابة رضوان الله عليهم، والمنقول عن التابعين رحمة الله، وعلى هذه الأنواع يدور التفسير بالتأثر^{٣٠٨}.

وُجِدَ الالوسي في إثبات نور محمد ﷺ يسلك مستمدًا على منهج التفسير بالتأثر. فمثال الالوسي يفسر أي القرآن بأية قرآنية أخرى في قضية نور محمد ﷺ، قوله حين يفسر قوله تعالى: (مثل نوره)، قال هو: وقيل المراد بنوره رسوله محمد ﷺ، وقد جاء إطلاق النور عليه ﷺ في قوله تعالى (قدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكَانَ بِهِ رَحْمَةٌ لِلْجَمِيعِ باعتبار أنه عليه الصلاة والسلام واسطة الفيض الإلهي على المكانت على حسب القوابل، ولذا كان نوره ﷺ أول المخلوقات، ففي الخير (أول ما خلق الله تعالى نور نبيك يا جابر) وجاء (الله تعالى المعطي وأنا القاسم)^{٣١٠}.

ومثاله يستدل بالمنقول عن الصحابة، قوله حين يفسر الألوسي قوله تعالى: (مثل نوره): وقيل الضمير راجع إلى محمد ﷺ وروى ذلك جماعةٌ عن ابن عباس

^{٣٠٧} الدكتور محمد حسين النهي، علم التفسير (القاهرة: دار المعارف، مجهول سنةطبع)، ص: ٤٠

^{٣٠٨} الدكتور محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والمواضيعات في كتب التفسير (مجهول المكان، مكتبة السنة، مجهول سنةطبع)، ص:

۳۳-۳۴

^{٣٠٩} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ١٠ ص: ٢٢٦

^{٣١٠} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق، ج: ٩ ص: ٥٣٩.

عن كعب الاخبار، وحكاه أبو حيان عن ابن جبير أيضاً^{٣١١}. هذا من جملة تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة رضوان عليهم. ووجد الآلوسي أيضاً يستدل بآثار التابعين كما قال في تفسير قوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور): عظيم وهو نور الأنوار والنبي المختار عليه السلام، وإلى هذا ذهب قنادة اختاره الزجاج^{٣١٢}. ثم قال - بعد نقل الآراء المختلفة في تفسير هذه الآية - : ولا يبعد عندي أن يراد بالنور والكتاب المبين النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه^{٣١٣}. فتفسير الآلوسي (قوله تعالى (نور) بنور الأنوار النبي المختار محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه مسأكداً برأي قنادة التابعي (٦١-١١٧هـ^{٣١٤}) الذي اختاره الزجاج التابعي^{٣١٥} من جملة تفسير القرآن الكريم بالمنقول عن التابعين. هذا كله يدل أن منهج الآلوسي التفسيري في إثبات نور محمد صلوات الله عليه وآله وسلامه هو على منهج التفسير بالتأثر.

٢. الاستنباط بالإشارة (التفسير الإشاري)

قال محمد حسين الذهبي: التفسير الإشاري: هو تأويل آيات القرآن الكريم على خلاف ما يظهر منها بمقتضى إشارات خفية تظهر لأرباب السلوك. ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة^{٣١٦}. وقال الآلوسي: وأما كلام السادة الصوفية في القرآن فهو من باب الإشارات إلى دقائق تنكشف على أرباب السلوك ويمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المرادة وذلك من كمال الإيمان ومحض العرفان لا أنهm اعتقادوا أن الظاهر غير مراد أصلا وإنما المراد الباطن فقط إذ ذاك إعتقداد الباطنية الملاحدة توصلوا به إلى نفي الشريعة بالكلية وحاشى سادتنا من ذلك كيف وقد حضوا على حفظ التفسير الظاهري وقالوا لا بد منه أولاً إذ لا يطمع في الوصول إلى

^{٣١} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ١٠ ص: ٢٢٦

^{٣١٢} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق، ج: ٤ ص: ١٣١

٣١٣ نفس المرجع

^{٤٢٨} ابن حجر العسقلاني، *هذيب التهذيب* (بيروت: مؤسسة الرسالة، مجهول سنة الطبع)، ج: ٣، ص: ٤٢٨

٣١٩ نفس المرجع: ج: ٤ ص:

^{١٦}الدكتور محمد حسين الذهبي، علم التفسير (القاهرة: دار المعرفة، مجهول سنةطبع)، ص: ٧٠

الباطن قبل إحكام الظاهر ومن إدعى فهم أسرار القرآن قبل إحكام التفسير الظاهر فهو كمن ادعى البلوغ إلى صدر البيت قبل أن يتجاوز الباب^{٣١٧}.

وَمَا لَا يِرْدِهُ الْعُقْلُ وَلَا يَقْبِلُ الْجَدَالُ لِشَدَّةِ ظَهُورِهِ، أَنْ جُلُّ الْمَنْهَاجِ مِنَ
الْمَاهِيجِ التَّفْسِيرِيَّةِ الَّذِي يُسْتَخْدَمُهُ الْأَلْوَسِيُّ فِي إِثْبَاتِ نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ هُوَ التَّفْسِيرُ
الْإِشَارِيُّ. وَهَذَا يَتَبَيَّنُ جَالِيًّا حِينَ يَفْسِرُ الْأَلْوَسِيُّ "نُورًا" وَ"كِتَابًا" فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ^{٣١٨})، قَالَ هُوَ: وَلَا يَعْدُ عَنِّي أَنْ يَرَادُ
بِالنُورِ وَالْكِتَابِ الْمَبِينِ النَّبِيُّ ﷺ، وَالْعَطْفُ عَلَيْهِ كَالْعَطْفِ عَلَى مَا قَالَهُ الْجَبَائِيُّ، وَلَا
شَكٌ فِي صَحَّةِ إِطْلَاقِ كُلِّ عَلَيْهِ ﷺ، وَلَعْلَكَ تَتَوَقَّفُ فِي قَبْولِهِ مِنْ بَابِ الْعِبَارَةِ
فَلَيْكَنْ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الإِشَارَةِ^{٣١٩}. وَقَالَ مِنْ بَابِ الإِشَارَةِ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: (قَدْ
جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ) أَبْرَزَهُ - ذَلِكَ النُورُ - الْعَنَيْةُ الْإِلَاهِيَّةُ مِنْ مَكَانِ الْعُمَاءِ
(وَكِتَابٌ) خَطَهُ قَلْمَنْ الْبَارِيُّ فِي صَحَافَ الْإِمْكَانِ جَامِعًا لِكُلِّ كَمَالٍ، وَهُمَا إِشَارَةٌ
إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَذِكَرُ وُحْدَةِ الضَّمِيرِ فِي قَوْلِهِ سَبِّحَهُ (يَهْدِي بِهِ اللَّهُ) أَيِّ بِوَاسِطَتِهِ
(مِنْ اتَّبَعَ رَضْوَانَهُ) أَيِّ مِنْ أَرَادَ ذَلِكَ (سُبْلَ السَّلَامِ) وَهِيَ الْطَرِقُ الْمَوْصَلَةُ إِلَيْهِ عَزَّ
وَجَلَ^{٣٢٠}.

وَمَا يَدْلِي عَلَى ذَلِكَ قُولَهُ مِنْ بَابِ الإِشَارَةِ فِي تَأْوِيلِ قُولَهُ تَعَالَى (لِتَنذِيرِ أَمَّ
القَرِي وَمَنْ حَوْلَهُ): قِيلَ يُشَيرُ ذَلِكَ إِلَى إِنذَارِ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ لِأَنَّهَا أَمَّ قَرِي نُفُوسَ
آدَمَ وَأَوْلَادِهِ لِأَنَّهَا هُوَ أَوْلُ الْعَالَمِينَ خَلَقَهُ وَمِنْهُ هُوَ نَشَأَتِ الْأَرْوَاحُ وَالنُّفُوسُ وَمِنْ
هَذَا كَانَ آدَمُ وَمِنْ دُونِهِ تَحْتَ لَوَائِهِ ٣٢١-٣٢٢. وَقُولَهُ مِنْ بَابِ الإِشَارَةِ فِي قُولَهُ تَعَالَى
(طَهٌ ٣٢٢): وَقِيلَ: إِنْ (طَ) لِكُونِهِ بِحَسَابِ الْجَمْلِ تِسْعَةٌ وَإِذَا جَمَعَ مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ مِنْ

^{٣١٧} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ١ ص: ١٧-١٨

٣٦٨ المائدة: ١٥

^{٣١٩} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ٤ ص: ١٣١

^{٣٢٠} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ٤ ص: ١٦٤

^{٦٢٧} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق: ج: ١٢ ص: ٦٢٧

٣٢٢

الاعداد أعني الواحد والاثنين والثلاثة وهكذا إلى التسعة بلغ خمسة وأربعين إشارة إلى آدم لأن أعداد حروفه كذلك، و(٥) لكونها بحساب الجمل خمسة وما انطوت عليه من الأعداد يبلغ خمسة عشر إشارة إلى حوا بلا همز، والإشارة مجموع الأمرين إلى أنه ﷺ أبو الخلقة وأمها فكأنه قيل: يا من تكونت منه الخلقة^{٣٣}.
وغير ذلك مما سبق ذكره في فصل الأول من هذا الباب.

فخلاصة الكلام أن المنهج الالوسي التفسيري في بيان نور محمد ﷺ يسلك
كثيراً على منهج التفسير بالإشاري ويسلك أحياناً على مسلك التفسير بالتأثر.
هذا المنهج كمنهج أساسي للالوسي في بيان قضية نور محمد ﷺ. وأما التالى
فككان كطريقة عملية يستخدمها الالوسي لتأكيد رأيه المتعلق بهذه القضية.

٣. الاستعانة بالنحو

وهذا ظاهر في قوله حين يفسر قوله تعالى (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين): وهما - نور وكتاب - إشارة إلى النبي ﷺ، ولذلك وُحدَ الضميرُ في قوله سبحانه (يهدى به الله) أي بواسطته (من اتبع رضوانه) أي من أراد ذلك (سبيل السلام) وهي الطرق الموصلة إليه عز وجل.^{٣٢٤}

٤. الاستعانة بعلم القراءة

يتبين هذا في قوله حين يفسر الآلوسي من باب الإشارة قوله تعالى (لَقَدْ حَمَّلْتُكُمْ رَسُولِي مِنْ أَنفُسِكُمْ^{٣٢٥٠}): وَقُرِئَ كَمَا قَدَّمْنَا (مِنْ أَنفُسِكُمْ) أي أشرفكم في كل شيء ويكفيه شرفاً أنه عليه الصلاة والسلام أول التعيينات وأنه كما وصفه الله تعالى على خلق عظيم^{٣٢٦٠}.

^{٢٢٣} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق: ج: ٩ ص: ٢٨٥

^{٣٢٤} شهاب الدين محمود الالوسي، المرجع السابق: ج: ٤ ص: ١٦٤

١٢٨ التوبة: ٣٢٥

^{٣٢٦} شهاب الدين الألوسي، المراجع السابق: ج: ٦ ص: ٣٠٠



الفصل الثالث: تأثر الألوسي بالصوفية في نظرية نور محمد

وما يلاحظه الباحث على الآلوسي في البيانات الموجودة، أنه تأثر في هذه القضية أي نور محمد رحمه الله بالصوفية المتقدمين، مثل الشيخ الأكبر ابن عربي وعبد الكريم الجيلي وعبد الغني النابلسي وابن الفارض وغيرهم قدس الله أسرارهم. وهذا ليس من العجب، لأن الآلوسي كان نقشبendi^{٣٧} وتعلم على يد الشيخ خالد النقشبendi العالم الورع التفي شيخ الطريقة الصوفية بالعراق، وكثيراً ما يستمد الآلوسي في هذه القضية على أقوال الصوفية.

فمثـال تأثره بالصـوفـية قوله - بـعـد أـن قـالـ: "وـكـونـه رـحـمة لـلـجـمـيع باعتـبار أـنه عـلـيـه الصـلاـة وـالـسـلام وـاسـطـة الفـيـض الإـلهـي عـلـى المـكـنـات عـلـى حـسـبـ القـواـبـلـ، ولـذـا كـانـ نـورـه صـلـيـ اللـهـ عـلـيـه وـسـلـمـ أـولـ الـمـخـلـوقـاتـ، فـفـي الـخـبـرـ (أـولـ ما خـلـقـ اللـهـ تـعـالـيـ نـورـ نـبـيـكـ بـاـ جـابـرـ) وـجـاءـ (الـلـهـ تـعـالـيـ المـعـطـيـ وـأـنـا الـقـاسـمـ)" - : ولـلـصـوفـية قـدـسـتـ أـسـرـارـهـمـ فـيـ هـذـاـ الفـصـلـ كـلـامـ فـوـقـ ذـلـكـ.^{٣٢٨} هـذـاـ يـدـلـ أـنـ الـآـلـوـسـيـ قدـ تـأـثـرـ بـأـقـوـاـهـمـ فـيـ هـذـهـ الـقـضـيـةـ.

ومثال تأثره بالصوفية وخصوصاً بعد الغنِي النابلسي، قوله حين يفسر (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) من باب الإشارة: "أكثر الصوفية قدست أسرارهم على أن المراد من العالمين جميع الخلق وهو ﷺ رحمة لكل منهم إلا أن الحظوظ متفاوتة ويشترك الجميع في أنه عليه الصلاة والسلام سبب لوجودهم بل قالوا: إن العالم كله مخلوق من نوره ﷺ، وقد صرَح بذلك الشيخ عبد الغنِي النابلسي قدس سره في قوله

طه النبي تكونت من نوره ** كل الخلائق ثم لو ترك القطا

^{٣٤٧} كون الألوسي نقشبندياً قد بين في الباب الثالث في هذا البحث

^{٣٢٨} شهاب الدين الالوسي، المرجع السابق: ج: ٩ ص: ٥٣٩

وأشار بقوله لو ترك القطا إلى أن الجميع من نوره عليه الصلاة والسلام
وجه الانقسام إلى المؤمن والكافر بعد تكوئنه، فتأمل! ٣٢٩.

ومثال تأثره بابن الفارض، قوله حين يفسر (الذي خلقكم من نفس واحدة^{٣٣}): وهي الحقيقة الحمدية ويغرس عنها أيضاً بالنفس الناطقة الكلية التي هي قلب العالم وبآدم الحقيقى الذى هو الأب لأدم، وإلى ذلك أشار سلطان العاشقين ابن الفارض قدس سره بقوله على لسان تلك الحقيقة (الحقيقة الحمدية):

وإني وإن كنت ابن آدم صورة ** فلي فيه معنى شاهد بأبوتي ٣١
ومثال تأثيره بالشيخ الأكابر ابن عربي، قوله حين يفسر (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ
النَّبِيِّنَ) : "فيه إشارة إلى أنه سبحانه أخذ العهد من نواب الحقيقة الحمدية في
الأزل بالانقياد والطاعة والإيمان بها" ٣٢ . فمصطلح "نوب الحقيقة الحمدية" أي
نواب محمد ﷺ هو اصطلاح الشيخ الأكابر، وهو بمعنى: أن الأنبياء والرسل
جميعاً هم نواب محمد ﷺ من حيث أنه مبعوث إلى الناس كافة، فكلّ نبي ناب عنه
في زمان من الأزمان، وعندما ظهر بنفسه لم يبق لغيره حكم ٣٤ . قال في
الفتوحات المكية": ونحن المسلمين وعلماؤنا الانبياء، ونحكم على أهل كل شريعة
بشر يعتهم، فأنها شريعة نبينا إذ هو المقرر لها وشرعه أصلها وأرسل إلى الناس كافة،
ولم يكن ذلك لغيره والناس من آدم إلى آخر إنسان وكانت فيهم الشرائع فهي:
شرع محمد ﷺ بأيدي نوابه، فإنه المبعوث إلى الناس كافة، فجميع الرسل: نوابه
بلا شك، فلما ظهر بنفسه لم يبق حكم الإله ولا حاكم إلا رجع إليه ٣٥ .

^{٣٦٩} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ٩ ص: ٥٤٤

٣٤٠ النساء:

^{٣٣١} شهاب الدين محمود الالوسي، المراجع السابق: ج: ٣ ص: ٢٨٧

۳۳۲ آل عمران: ۱۸

^{٣٣٣} شهاب الدين محمود الالوسي، روح المان في تفسير القرآن العظيم والسعي المثاني (بيروت: دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٢٢ـ / ٢٠٠٣م)، المجلد: ٢، ج: ٣، ص: ٢٦٩.

^{٣٣٤} الدكتورة سعاد الحكيم، المعجم الصواني (بيروت: دنارة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ / ١٩٨١م)، ص: ١٠٧٩.

^{٣٣٥} محي الدين ابن عربي الحنفي، الفترحات الملكية (مصر، دار الكتب العربية الكبرى، ١٣٢٩هـ)، ج: ٢ ص: ١٣٤.

ومثال تأثره بعد الكرم الجيلي، قوله: "... الملك (الحقيقة الحمدية) المسمى بالروح وبالقلم الأعلى وبالعقل الأول وهو المرأة لذاته تعالى، فلا يظهر بذاته إلا في هذا الملك، وظهوره في جميع المخلوقات إنما هو بصفاته فهو قطب العالم الدنيوي والآخروي وقطب أهل الجنة والنار وأهل الكثيب والأعراف، وما من شيء إلا وهذا الملك فيه وجه يدور ذلك المخلوق على وجهه فهو قطبه، وهو قد كان عالماً بخلق آدم ورتبته، فإنه الذي سطر في اللوح ما كان وما يكون، واللوح قد علم علم ذوق ما خطه القلم فيه، وقد ظهر هذا الملك بكماله في الحقيقة الحمدية (محمد ﷺ الرسول البشري) كما يشير إليه قوله تعالى (وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا^{٣٣٦}) وهذا كان ﷺ أفضل خلق الله تعالى على الإطلاق، بل هو الخليفة على الحقيقة في السبع الطابق، وليس هذا بالبعيد فليفهم!^{٣٣٧}. وقد قال مثل هذا القول عبد الكرم الجيلي في كتابه "الإنسان الكامل" بأصرح وأوسع بيانٍ، وبالتالي سيؤتي نصه الكامل لأن لا ينقطع الفهم: أعلم أن هذا الملك هو المسمى في اصطلاح الصوفية بالحق المخلوق به والحقيقة الحمدية نظر الله تعالى إلى هذا الملك بما نظر به إلى نفسه، فخلقه من نوره وخلق العالم منه، وجعله محل نظره من العالم. ومن أسمائه أمر الله وهو أشرف الموجودات وأعلاها مكانة وأسماؤها منزلة ليس فوقه ملك، وهو سيد المقربين وأفضل المكرمين، أدار الله عليه رحا الموجودات وجعله قطب تلك المخلوقات، له مع كل شيء خلقه الله تعالى وجه خاص به يلحقه، وفي المرتبة التي أوجده الله تعالى فيها يحفظه، له ثمانية صورهم حملة العرش، منه خلق الملائكة جميعها عليها وعنصرها، فنسبة الملائكة إليه نسبة القطرات إلى البحر، ونسبة الثمانية الذين

٥١

٤٤٧-٤٤٩: شهاب الدين الالوسي، المرجع السابق، ج: ١ ص:

يحملون العرش منه نسبة الثمانية التي قام الوجود الإنساني بها من روح الإنسان، وهي العقل والوهم والتفكير والخيال والمصورة والذاكرة والمدركة والنفس^{٣٣٨}. ولهذا الملك في العالم الأفقي والعالم الجبوري والعالم العلي والعالم الملكي والعالم الملكي هيمنة إلهية خلقها الله في هذا الملك وقد ظهر بكماله في الحقيقة الحمدية (محمد ﷺ الرسول البشري)، ولهذا كان ﷺ أفضل البشر وبه امتن الله تعالى عليه وأمده من أجل النعم التي أسدتها الله تعالى إليه، فقال الله تعالى: (وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نوراً هدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم^{٣٣٩}) يعني إنا جعلنا لروحك وجهها كاملاً من وجوه هذا الملك الذي هو أمرنا، لأن هذا الملك اسمه أمر الله، وإليه الإشارة في قوله: (من أمر رب^{٤٠}) أي وجه من وجوهه. والنكتة أنه لما أطلق ذكر الروح في سؤالهم عنه بقوله: (ويسألونك عن الروح^{٤١}) أطلق في الجواب فقال: (قل الروح من أمر رب) أي وجه من وجوه الأمر بخلاف روح محمد ﷺ فإنه قال فيه: (وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا) وذكره للإهتمام به ونكره جلالة ذلك الوجه تبيهًا على عظم قدر محمد ﷺ، كما في قوله تعالى: (ذلك يوم جموع له الناس^{٤٢}) أفاد التكثير عظيم ذلك اليوم، ثم قال: (روحًا من أمرنا) ولم يقل: أوحينا إليك من أمرنا، لأنه المقصود من الوجود لأن الروح هو المقصود من الهيكل الإنساني، ثمأتي بنون

^{٣٣٨} عبد الكريم الجيلي، الإنسان الكامل؛ في معرفة الآخرين والأواىل (بصورة كتاب: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ٤١٨هـ) /

١٥٢: ص (١٩٩٧)

٣٣٩ الشورى: ٥٢

٢٤٠

٢٤١ الاسماء ٨٥

١٠٣ : هود

الإضافة في قول: (من أمرنا) كل ذلك تأكيداً وتنبيهاً على عظم قدر محمد ﷺ.

ثم اعلم أنه لما خلق الله هذا الملك مرآةً لذاته لا يظهر الله تعالى بذاته إلا في هذا الملك وظهوره في جميع المخلوقات إنما هو بصفاته، فهو قطب العالم الديني والأخروي، وقطب أهل الجنة والنار وأهل الكثيب والأعراف، اقتضت الحقيقة الإلهية في علم الله سبحانه أن لا يخلق شيئاً إلا وهذا الملك فيه وجه يدور فلك ذلك المخلوق على وجهه فهو قطبه، لا يتعرف ذلك الملك لأحد من خلق الله تعالى إلا إلى الإنسان الكامل، فإذا عرفه الولي علمه أشياء، فإذا تحقق بها صار قطباً يدور عليه رحا الوجود جميعه بمحكم النيابة عن الملك والقطبية في هذا الوجود لهذا الملك بمحكم الأصلالة والملك، ولغيره بمحكم النيابة والعارية^{٢٤٤}.

هكذا كان الآلوسي في نظرية نور محمد ﷺ تأثر بالصوفية الذين يقدمونه. ولو لم يكن في البيانات الموجودة نص صريح بأن ما نقله الآلوسي من كلام الصوفية في قضية نور محمد ﷺ هو عين رأيه أو مذهبـه، ولكن لم يوجد أيضاً نص صريح يدل أن الآلوسي يرفض ذلك، بل لا يوجد أيضاً نص صريح يرجح به الآلوسي ذلك الكلام. ولذا، أیقـن الباحث أن الآلوسي في هذه القضية قد تأثر بالصوفية الذين يقدمونه، لأنـه لا يتعـقـل: أن يكون الآلوسي – المشهور بكتـونه مفسراً، محدثاً، فقيهاً، أدبياً، لغويـاً، نحوـياً، جـمعـ كثيراً من العـلـوم حتى أصبح عـلـاماً في المـنـقـول والمـعـقـول، فـهـاماً في الفـرـوع والمـأـصـولـ، خـاتـمةـ الـمـحـقـقـينـ، وـعـدـةـ الـمـدـقـقـينـ، وإـمامـ الـمـفـسـرـينـ، والـمـشـهـورـ بـأـهـلـ التـرـجـيـحـ – يـقـبـسـ وـيـنـقـلـ الـأـقـوـالـ وـالـآـرـاءـ بـدـوـنـ تـعـلـيقـ وـتـرـجـيـحـ، إـلاـ إـذـاـ كـانـ هـوـ موـافـقاـ لـذـلـكـ الـأـقـوـالـ وـيـتـفـهـمـ بـذـلـكـ الـآـرـاءـ. وـالـلـهـ تـعـالـىـ أـعـلـمـ.

^{٣٤٣} عبد الكريم الجيلي، المترجم السابق: ١٥٢-١٥٣

٣٤٤ عبد الكريم الجيلاني، المترجم السابق: ١٥٣